

تسري على الألسنة والأقلام عبارة تعزى إلى الشاعر الانكليزي «كبلنج» وهي قوله «الشرق شرق والغرب غرب والاثناث لن يلتقيا». والواقع أن

الشرق والغرب!

بقلم امين الخوري المقدسي

والعناية، حتى إذا وصل إلى المطار الذي يقصده، استقل سيارة إلى حيث يشاء، فإذا استقرّ في منزله أو في محل عمله وجد إلى جانبه تلفوناً يحاطب فيه من أراد

في أية ناحية من نواحي المعمور وآلة راديو تأتيه بالالخان والأخبار والاحاديث من أهم محطات الاذاعة في العالم، ولو جاء الغربي إلى أية مدينة أو بلدة من بلدان الشرق حتى النائية منها عن مراكز العمران لوجد ما ألفه في بلاده من مصنوعات وبضائع طريفة ومساكن حديثة وشوارع منظمة وفنادق فاخرة وغير ذلك من ظواهر العمران، ولما تعذر عليه أن يجد كثيرين يحدثونه بلسانه حتى يشعر كأنه بين أهله وخلائقه.

٢ - الناحية العلمية : ان الغرب والشرق اليوم يستقيان من منهل واحد . فالجيل الجديد سواء أكان في اوربا واميركا او كان في الشرق العربي وبلاد الهند والصين وسائر البلدان يتخرج في مدارس حديثة هي على اختلاف مناهجها بالنسبة الى مطالب بيتها واحدة من حيث اسس المعرفة العامة وأنواع العلوم الكونية والاجتماعية . وانك لترى في معاهد اوربا واميركا ألوفاً من الطلاب الشرقيين يؤمنونها لاتمام دراساتهم او للتخصص في بعض الفروع التي تهتمهم . وفي هذه المعاهد لا يشعرون انهم غرباء عما ألفوه من طرق الدرس في اوطانهم وما تلقوه من المعارف في معاهدهم . ذلك لأن العلم واحد وهو من أهم الروابط التي تربط البشر وتوطد حسن التفاهم بينهم فيتعاونون على ما فيه الخير المشترك والتقدم العام . ومن الخطأ ان نقول ان العلم الشرقي واحد والعلم الغربي آخر ، وما اهل العلم مها اختلفت بلدانهم إلا كتيبة واحدة للبحث عن الحقيقة، يشهد بذلك اثلافهم في مؤتمرات دولية عامة كالتى شهدناها هذه السنة في بيروت والتي نشاهدها كل سنة في أنحاء مختلفة من هذا المعمور حيث يجلس البجاثون والمفكرون بعضهم الى بعض يتبادلون الافكار والآراء ويطلعون على ما استجدت من نتائج البحث والتنقيب . ولا يفصل الامم بعضهم عن بعض إلا الجهل - الجهل الذي يدفع صاحبه الى الانكماش ضمن دائرته الضيقة من معتقدات فاسدة وتقاليد بالية فلا يحتك بسواه ليوى ويقابل ويستنير . ومن هنا ينشأ سوء الظن وعدم التفاهم وما يتبعها من

هذه العبارة قديمة ، فقد وردت في رسالة ابن زيدون الهزلية ، إذ يقول «وهلا علمت أن الشرق والغرب لا يجتمعان وشعرت أن المؤمن والكافر لا يتقاربان» . والذين يرددونها أو يستشهدون بها يذهبون إلى أن بين الشرق والغرب حواجز من التقاليد والعادات والمعتقدات تحول دون اتصالها وتقضي بان يظلا متباعدين بل متقاطعين كأنهما من طينتين مختلفتين أو عقليتين جداً متباينتين . ونحن لاننكر ما بين بعض الجماعات في الشرق وبعض الجماعات في الغرب من تباين البيئات واختلاف المعتقدات والعادات . ولكن ذلك لا يعني أن وجوه الاختلاف والتباين هي ملكات راسخة لا تتغير مع الزمن وأن الناس خلقوا ليطلوا الى الابد على ما نشأوا عليه في بيئتهم وما اقتبسوه من عادات أسلافهم . فالذي يلقي نظرة واحدة إلى الورا يستطيع أن يرى حالاً أن الفرق بين الجيل الشرقي الجديد وبين الغربيين أقل بكثير مما كان أيام آبائهم وأجدادهم الاقربين . وهذا الفرق يزداد كلما مشينا رجوعاً في أروقة التاريخ ، وما ذلك إلا لتطور أسباب الانتقال والاتصال . فالارض التي كانت قبل مئة سنة بل قبل خمسين أو أقل واسعة الأرجاء يعسر الوصول إلى أطرافها والتنقل في أرجائها قد انكسحت اليوم على نفسها انكماشاً تلاشت معه الابعاد فسهل على الامم المختلفة الامتراج والاشترك في أسباب المدنية الجديدة حتى إنك لتجد في أواسط افريقيا وآسيا ما تجده في اوربا واميركا من وسائل العمران وأسباب الرفاه .

العالم اليوم عالم واحد والامم شرقيها وغربيها مرتبطة فيه على درجات متفاوتة - بروابط الحياة الجديدة ، وهي تتلاقى في عدة نواح أهمها ما يلي :

١ - الناحية المادية : فالانسان الذي كان قبلاً يقضي الاسابيع بل الاشهر ليقطع المسافة بين الشرق العربي والولايات المتحدة أو البرازيل يكاد الآن يشب فوقها وثباً في ساعات معدودة . يفعل ذلك بطيارة يركبها فيجد فيها كل أسباب الراحة

تمايز إقليمي أو جنسي أو ديني .

٣ - الناحية الروحية : ونعني بها نظرة الانسان الى المثل العليا وموقفه منها . ولا مرء ان بين الامم اختلافات كثيرة من حيث الآراء والاضاع السياسية . فكما انه من هذا القبيل لا يصح ان نتعامى عن حقيقة الاختلاف بين امة اوربية واخرى او بين كتلة غربية وكتلة اخرى كذلك لا يصح ان نتعامى عن الحقيقة الواضحة ان الشرق شرق والغرب غرب . فالمطامع والاهداف السياسية تفرق الامم بعضها عن بعض شرقية كانت أم غربية ، ومن العيب أن نرجو الائتلاف الدائم عن طريق المصالح السياسية لان هذه تتغير بتغير الظروف والاوقات . على أن هناك برغم ذلك رابطة عامة تربط الامم المتعدنة وتجعل منها كتلة روحية واحدة . وهي تظهر في الميل العام الى احترام حقوق الانسان واعتبار البشر في الشرق كما في الغرب متساوين في الحقوق والواجبات . وعلى ذلك قررت الامم المتحدة إعلان حقوق الانسان والحرية الفردية ووجوب رفع المستوى العام والمحافظة على الامن والسلام . واعتبار الانسان نفساً لا آلة تستخدم لمصلحة فرد أو دولة .

ونحن الذين قد تعودنا منذ الحرب العالمية الاولى أن نسمع بالمواثيق الاجتماعية والبراءات الانسانية والتصريحات السياسية قد نقف وقفة المتشائم ونقول : إن هي إلا تخديرات يستخدمها الاقوياء لاستغلال الضعفاء . ولعل لنا في هذا التشاؤم بعض العذر فقد علمتنا الايام أن لا نصدق كل ما يقال وأن لا نغترّ بظواهر الحال . ولكن مهما تشاءنا فان التشاؤم لا ينفي الحقيقة ، ان العواطف الانسانية الراقية في الشرق وفي الغرب هي اليوم واحدة من حيث الايمان بالحق والتوق إلى كل ما يوطده ويرفع شأن الشخصية البشرية . هكذا يلتقي الشرق والغرب على صعيد واحد . كلاهما يعترف بحقيقة المثل العليا والقيم الروحية ولا يرى من سبيل حقيقي للسلام إلا بالسعي نحوها .

ان العالم يجتاز اليوم مرحلة من اشد المراحل خطراً في تاريخه . فهو اذ يحاول الاستقرار بعد حرب زعزعت اركانه مادياً وروحياً يرى امامه شبح حرب اخرى لا يعرف غير الله مدى الفظائع التي ستنتج عنها . وسواء تغلبت قوى الخير التي يرجوها الناس عموماً او قوى الشر التي تستهوي قلوب البعض من اصحاب الاغراض والمطامع ، فان الغربي لا يستطيع

بعد الآن احتكار المدينة الحديثة كما ان الشرقي لا يستطيع الوقوف بنجوة عنها . في مدينة القرن العشرين لا شرق ولا غرب بل انسان متمدن او غير متمدن - امة حية نشيطة تسير حرّة الى الامام ، او امة رجعية تساق سوق الأناجم . ومهما غالينا في تاريخنا الماضي ومهما فاخرنا بما قدمناه للاجيال من خدمات روحية وغير روحية فان تيار الحياة الجديدة المندفح من الغرب يغمرنا ولا يقبل لنا برده أو الوقوف في وجهه . ولا يعني ذلك ضياع مقوماتنا القومية واللغوية بل يعني توطيدها على اسس قوية من المعرفة والنظام والتعاون . واننا لنحسن الى انفسنا والى اوطاننا إذا فهمنا هذه الحقيقة . ان الامم مهما كانت صغيرة فان قوتها تكون بالنسبة الى تقدمها في ميدان الحضارة . فلنعزيز كياننا بالسير مع مواكب الامم الراقية ، الامم الحية التي عرفت كيف تطبق العلم على حياتها العملية ، وكيف يتعاون أفرادها على رفع مستواها بين البرية . ولننحرر انفسنا من كل تقليد يقف عثرة في سبيل تقدمنا وكل فساد يؤول الى ضعفنا .

ان المدينة واحدة - لا شرق ولا غرب - فهل نحن نعيش في قلب هذه المدينة ام لا نزال على بعض حواشها القصية ؟
انيس الخوري المقدسي

صدر حديثاً عن

دار العلم للملايين

بيروت

ق.ل

عقريه البحتري	للاستاذ عبدالعزيز سيد الأهل	١٥٠
ولادة استقلال (لبنان)	منير تقي الدين	٤٠٠
مصرع الديموقراطية	البوت ا. كان	١٥٠
فلسفة من الصين	لفيلسوف لين بوتانغ	١٥٠
كهان الميكل (طبعة ثانية)	للدكتور جورج حنا	١٥٠
قصة الانسان (= =)	= = =	٢٥٠
وعي المستقبل	للاستاذ قذري حافظ طوقان	١٠٠
لاجئة (قصة)	للدكتور جورج حنا	٢٠٠
زينب عقيلة بني هاشم	للاستاذ سيد الأهل	١٠٠